

[www.ikhwanweb.com](http://www.ikhwanweb.com)

# Ikhwanweb Tarjamat

[IkhwanScope.com](http://IkhwanScope.com)

## تبعات المحاكمات العسكرية

إبراهيم الهضيبي

إن هؤلاء الذين يظنون أن حملات التصفية المتكررة من قبل النظام ضد الإخوان المسلمين من شأنها أن تعمل علي استئصال شأفة أكبر وأقوى جماعات المعارضة في مصر لهو جد مخطئ. إن جماعة الإخوان المسلمين تمثل قطاعاً حيويًا ومتكاملاً من المجتمع المصري لا يمكن استئصاله، فما بال عزلها عن محيطها. إن المحصلة المحتملة لمثل هذه الحملات هي زيادة شعبية الجماعة وجبّل تيار الإسلام السياسي علي التطرف.

علي طوال عام مضى، وحملات التصفية القاسية لم تنتهي؛ فالمئات من أعضاء الجماعة قد اعتقلوا، في حين يمثل أربعين منهم، بما فيهم نائب مرشد الجماعة خيرت الشاطر، أمام محكمة عسكرية. في سياق متصل، تم تجميد أصول رجال الأعمال المنتمين للجماعة بذريعة تمويلهم لأنشطة الجماعة؛ في حين شنت الصحافة ومحطات التلفزة المملوكة للدولة حملة تشويه في الوقت الذي مارس فيه النظام ضغوطاته علي المنافذ الإعلامية المستقلة لعدم السماح للإخوان بالرد. فالإعلاميون الذين رفضوا أن يتصالحو مع النظام علي حساب آداب المهنة قد تم معاقبتهم بقسوة؛ فبعضهم تم ضربه في الشوارع والآخر حُكم عليه بالسجن. ولكن، ماذا كانت المحصلة؟ نتج عن ذلك وعى شريحة كبرى من المصريين بالإجراءات الظالمة التي اتخذها النظام ضد الإخوان وتعاطف وتضامن أوسع مع الجماعة. فالمئات من المفكرين والسياسيين الذين يمثلون ألوان الطيف السياسي قاموا بتوقيع التماسات ضد تحويل المدنيين غير المبرر لمحاكم عسكرية، ولا زال العشرات من الناس يبادرون بالإنضمام للجماعة، والانتخابات الطلابية والنقابية تثبت إرتفاع شعبية الجماعة علي النحو الذي تعودت عليه دائماً.

إن النظام لا يرغب في أن يرى هذا واقعاً. فهو يصر علي إقناع نفسه، وكذا خصوم الإخوان، بأن حملات التصفية تقوض من شعبية الجماعة. وقد اتخذ النظام بعض الإجراءات لدعم هذا الإدعاء؛ منها التدخل الأمني القوي في إنتخابات الغرفة الأعلى للبرلمان، واستطاع أن يتلاعب في النتائج مما أسفر عن عدم كسب الإخوان لمقعد واحد علي الأقل. وجدير بالذكر أن الإعلام المستقل قد مارست الدولة عليه ضغوطاً لعدم تغطية الإنتخابات. وتحديث بعض الصحف الحكومية عن تراجع شعبية الإخوان بعد النجاح البارز الذي حققه في إنتخابات 2005، في حين أن تعثر العملية الديموقراطية والتدخل الواضح لعناصر الدولة هو ما منع أعضاء الإخوان من الفوز ببضعة مقاعد في الغرفة الأعلى.

كذلك، روج النظام لما سماه بتجفيف المصادر المالية للإخوان في حين أنه لم يفعل أكثر من تجميد أصول رجال الأعمال الكبار. وهذا أيضاً غير صحيح حيث أن الأصول المجمدة هي ملكية خاصة لممتلكيها وليس للجماعة فيها ناقة أو جمل. وللتركيز علي هذه الفكرة، قام جهاز أمن الدولة بمنع الإفطار السنوي للجماعة الذي يكلف ملايين الجنيهات، في حين روجت الصحف المملوكة للدولة أن سبب الإلغاء هو عدم قدرة الجماعة علي تمويله.

إن النظام يخدع نفسه وآخرون بإدعائه أن حملات التصفية تلك قد حجّمت من الجماعة أو أعادتها للوراء. ففي الواقع، لم تسهم تلك الحملات إلا في إخفاء الشعبية العارمة التي يتمتع بها الإخوان في مصر، لكنها لم تؤثر علي شعبية الجماعة بأي شكل سلبي. صحيح أن هذه الحملات لا زالت تترك آثاراً سلبية علي الجماعة، لكن الإخوان قد تحملوا ما هو أكثر من ذلك أيام عبد الناصر، مؤكدين بذلك أنهم مكون حيوي في تركيبة المجتمع المصري لا يمكن استنناؤه بسهولة.

لكن إنتهاكات عبد الناصر، وكذلك مبارك، قد رسخت عند الناس جذب الإصلاح السياسي. ففي أيام عبد الناصر، لم يكن يضطهد ويضايق غير الإسلاميين، الأمر الذي أدى إلى خروج جماعات متطرفة لم تتوقف في تهديد السلام والإستقرار العالمي حتى الآن. ففي الوضع الحالي، يجد الإخوان استحالة في إقناع المتطرفين بجدوى إتجاههم المعتدل والإصلاح السلمي المنتدج.

ففي مصر اليوم، لا تقتصر حملات مبارك علي الإسلاميين فحسب، بل إن النظام وقواته الأمنية تستهدف أي صوت معارض بكافة الطرق. فالمعارضون السياسيون، كالبرلمانيين السابقين أيمن نور وطلعت السادات ومحرري الصحف المستقلة والمدونين قد صدرت ضدهم أحكاماً بالحبس، في حين يتم اعتقال أعضاء الإخوان وسحل المتظاهرين في شوارع القاهرة في أي مناسبة. بالنسبة للمفكرين، فقد تم تهмиشهم ومنعت مقالاتهم من النشر في الصحف المملوكة للدولة، إلي جانب حظر كل الفعاليات الثقافية التي ينظمها ناشطي المعارضة.

ومع كل هذا، فإن ثمة توقعات بكفر كثير من ناشطي المعارضة، إسلاميين أو غير إسلاميين، بالإصلاح الديمقراطي في ظل الظروف. فالنظام قد أغلق أمامهم كل الخيارات الممكنة للوصول لهذا الإصلاح، ولم يترك بدائل سوى الانقلابات والثورات والعنف لإنعاش المشهد السياسي. وبالتأكيد، فإن الإخوان لا يرتضون هذه الواجهة، التي يمكن أن تؤدي إلي نتائج كارثية، إلا أن الجماعة في ظل هذه الخروقات قد أصبح من العسير عليها، وكذلك الجماعات الأخرى المؤيدة للديموقراطية، إقناع الشعب بجدوى الإصلاحات الديمقراطية السلمية.

إن إبداعات النظام بجدوى ضعفة شعبية الإخوان عن طريق تنحية الطرق القانونية والديموقراطية ولجوءه لإجراءات مخالفة للقانون سعياً منه لإخراص الجماعة تجافي الحقيقة. فعلي المصريين. ومؤيدي الديمقراطية في كل مكان. أن يعلموا أن تبعات استمرار هذه الخروقات ستكون أكثر استفحالاً، ليس علي الإخوان وحدهم ولكن علي مصر جمعاء.